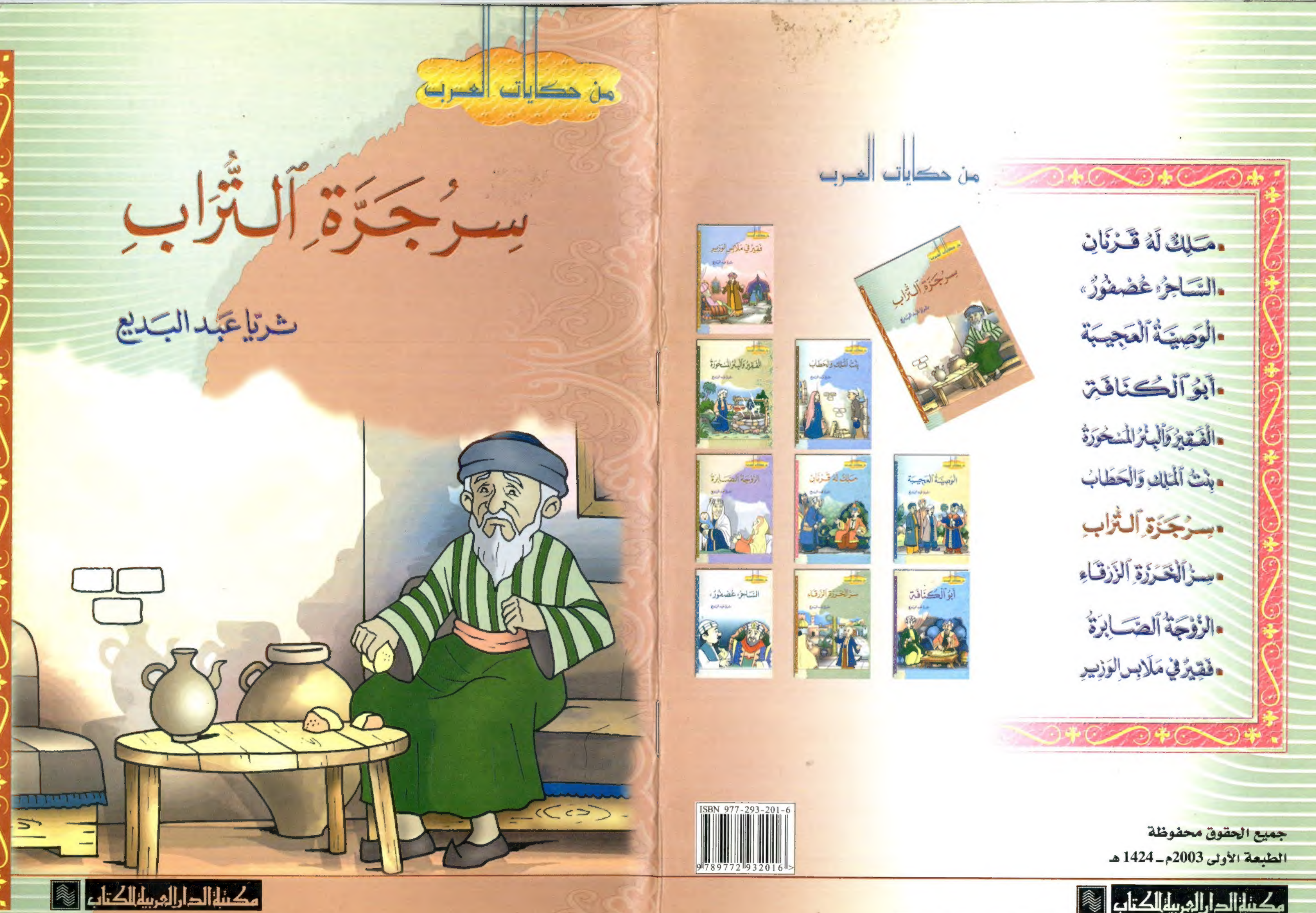
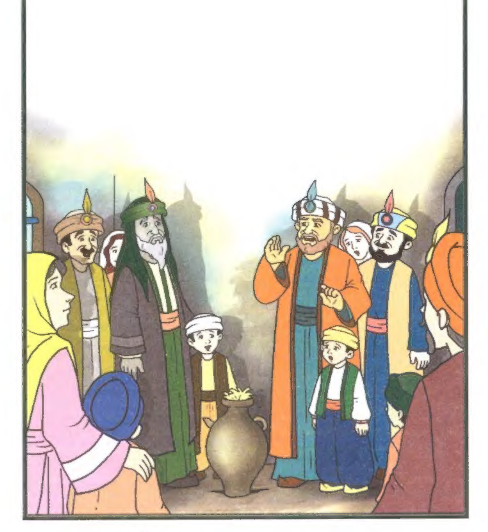


من حكايات العرب
سِرُ جَرَّةِ ٱلتُّرَابِ
ثريّا عبد البديع
مكتبة الدار العربية للكتاب
من حكايات العرب
ملِكٌ لَهُ قَرْنَانِ
السَّاحِرُ «عُصْفُورٌ»
الوَصِيَّةُ العَجِيبَةُ
أَبُو ٱلكُنَافَةِ
الفَقِيرُ وَٱلبِئْرُ المَسْحُورَةُ
بِنْتُ ٱلمَلِكِ وَٱلحَطَّابُ
سِرُ جَرَّةِ ٱلتُّرَابِ
سِرُّ الخَرَزَةِ ٱلزَّرْقَاءِ
الزَّوْجَةُ ٱلصَّابِرَةُ
فَقِيرٌ فِي مَلَابِسِ الوَزِيرِ
ISBN 977-293-201-6
9789772932016
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى 2003م ـ 1424 هـ
مكتبة الدار العربية للكتاب
24 ش الدكتور حسن إبراهيم من مكرم عبيد ـ ص.ب 7584 الحي الثامن ـ مدينة نصر ـ القاهرة ـ ت: 2741721
e-mail:ALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

ثريّا عبد البديع



سِرُّ جَرَّةِ التُّرابِ



الطبعـــة الأولـــى
2003 م - 1424 هـ

رسوم: مفيد الأشقر
تنفيذ: هوســـاك

مكتبة الدار العربية للكتاب

24 ش الدكتور حسن ابراهيم من مكرم عبيد - ص. ب: 7584 - الحي الثامن - مدينة نصر - القاهرة - ت: 2741721
e-mail: ALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

رقم الإيداع: 3160/ 2003
الترقيم الدولي: 6 - 201 - 293 - 977

الطبعة الأولى، 2003 م - 1424 هـ

رسوم: مفيد الأشقر، تنفيذ: هوساك



فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، كَانَ لِتَاجِرٍ ثَلاَثَةُ أَبْنَاء، قَضَى عُمْرَهُ كُلَّهُ فِي تَرْبِيَتِهِم، وَالْعَمَلِ عَلَى إِسْعَادِهِم، ثُمَّ سَعَى فِي تَزْوِيجِهِم جَمِيعاً أَفْضَلَ الزِّيجَات، وَعِنْدَئِذٍ قَسَّمَ الرَّجُلُ أَمْوَالَهُ فِيمَا بَيْنَهُم، لِيَبْدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَيَاتَهُ مُسْتَقِلاًّ، فَصَارَ الأَبْنَاءُ بِمَالِ أَبِيهِم مِنَ الأَثْرِيَاء، فِي حِينِ أَنَّ الرَّجُلَ أَبْقَى لِنَفْسِهِ بَعْضَ الْمَالِ وَدَاراً صَغِيرَةً، أَقَامَ فِيهَا وَحْدَهُ، لِيَقْضِيَ فِيهَا مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِه، وَكَانَ سَعِيداً بِمَا قَدَّمَهُ لِأَبْنَائِهِ، قَانِعاً بِالْقَلِيلِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ تَمَنَّى أَنْ يَزُورَهُ أَبْنَاؤُهُ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ كَيْ يَسْعَدَ بِرُؤْيَتِهِم، وَيَأْنَس بِوُجُودِهِم، وَصَارَحَ أَبْنَاءَهُ بِذَلِك.

فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَخَذَ الأَوْلاَدُ بِوَصِيَّةِ أَبِيهِم، فَكَانُوا يَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِ مِنْ حِينٍ إلى آخَر، ولَكِنْ مَعَ مُرُورِ الأَيَّامِ، انْشَغَلَ الأَوْلاَدُ عَنْ أَبِيهِم بِحَيَاتِهِم وَتِجَارَتِهِم وَأَوْلاَدِهِم، فَقَلَّتْ زِيَارَتُهُمْ لِأَبِيهِم، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَوْهُ، حَتَّى صَارَ الأَبُ وَحِيداً، لاَ أَنِيسَ وَلاَ جَلِيس، وَهُوَ الَّذِي قَسَّمَ بَيْنَهُم كُلَّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مَالٍ وَأَمْلاَك.



مَرَّتِ الأَيَّامُ وَالأَعْوَامُ، حَتَّى قَلَّ مَا ادَّخَرَهُ الرَّجُلُ لِنَفْسِه، وَكَبِرَ سِنُّهُ وَوَهَنَ عَظْمُه، وَبَاتَ مُهَدَّداً بِالْجُوعِ وَالْحِرْمَان، فَتَحَيَّرَ وَجَلَسَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ! وَتَذَكَّرَ حَالَهُ فِيمَا مَضَى، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ هَنَاءٍ وَسَعَةِ عَيْشٍ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ حَالُهُ الآن.



وَلَمْ يَجِدِ الرَّجُلُ مَا يَفْعَلُهُ سِوَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَوْلاَدِه. فَذَهَبَ إِلَى ابْنِهِ الْكَبِيرِ يَسْأَلُهُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَخْبَارِهِ، بِدُونِ أَنْ يُبْدِيَ شَيْئاً مِنْ ضِيقِ حَالِه. فَأَظْهَرَ لَهُ الْوَلَدُ كَثِيراً مِنَ الْجَفَاءِ الَّذِي لَمْ يَتَوَقَّعْهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لِوَلَدِهِ فِي رِفْق:

ـ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ تَبْخَلَ عَلَيَّ بِزِيَارَةٍ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخر يَا وَلَدِي.

رَدَّ الابْنُ بِجَفَاء:

ـ لاَ تُعَاتِبْنِي يَا أَبَتِ، فَإِنَّهُ لاَ وَقْتَ عِنْدِي أَبَداً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَسْؤُولِيَّتِي قَدْ زَادَتْ، وَالتِّجَارَةُ قَدِ اتَّسَعَتْ، فَضْلاً عَنْ مَشَاكِلِ الْبَيْتِ وَالْأَوْلاَدِ، كَفَانِي يَا أَبِي مَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَعْبَاءِ تِجَارَتِي وَأَوْلاَدِي.

عَادَ الأَبُ مِنْ لِقَاءِ وَلَدِهِ الْكَبِيرِ مَخْذُولاً، وَاتَّجَهَ إِلَى وَلَدِهِ الأَوْسَط، لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُ مَا يُطَيِّبُ خَاطِرَهُ، وَلَكِنْ مَا حَدَثَ مِنَ ابْنِهِ الأَكْبَرِ حَدَثَ مِثْلُهُ ـ بَلْ أَكْثَرُ مِنْهُ ـ مِنْ وَلَدَيْهِ الآخَرَيْن، لَكِنَّهُ لَحَظَ أَنَّ ابْنَهُ الصَّغِيرَ يَوَدُّ زِيَارَتَهُ، لَكِنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ الَّتِي تُمَانِعُ فِي ذَلِك، وَتَخْتَلِقُ الْأَعْذَارَ وَالْحِجَجَ حَتَّى لاَ يَزُورَ الْوَلَدُ أَبَاه، وَابْنُهُ لاَ يَسْتَطِيعُ عَمَلَ شَيْءٍ أَمَامَ تَسَلُّطِهَا، وَالنَّتِيجَةُ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ الأَحْوَال، وَهِيَ الْمَزِيدُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالإِهْمَال.



عادَ الرَّجُلُ إلَى بَيْتِهِ حَزِيناً، لاَ تَكادُ تَحْمِلُهُ قَدَماهُ مِنَ الْحُزْنِ، والألَمِ، وَجَلَسَ في رُكْنٍ مُنْزَوٍ مِنْ دارِهِ، يَدَّخِرُ مِنْ قُوتِهِ بِضْعَ كُسَيْرَاتٍ مِنَ الْخُبْزِ الْجَافِ.. وَمَرَّتْ أَيَّامُ كَرْبٍ وَضِيقٍ، حَتَّى أَصْبَحَ الرَّجُلُ في أَسْوَإِ حالٍ: بَلِيَتْ ثِيَابُهُ، وضَعُفَ جِسْمُهُ، وَدَبَّ فِيهِ الْعَجْزُ وَالْوَهْنُ.



وَكَانَ لِلرَّجُلِ صَدِيقٌ حَمِيمٌ يَعْمَلُ في التِّجَارَة، طَرَقَ بَابَهُ ذَاتَ يَوْمٍ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْه، فَتَعَجَّبَ الصَّدِيقُ لِمَا صَارَتْ إلَيْهِ حَالُ صَاحِبِهِ مِنْ فَقْرٍ شَدِيد، وَلاَمَهُ، حَيْثُ فَرَّطَ في مَالِهِ كُلِّه، وَعَرَضَ الصَّدِيقُ التَّاجِرُ عَلَى صَدِيقِهِ الْعَجُوزِ مَالاً يُسَاعِدُهُ في مِحْنَتِهِ، لَكِنَّ الرَّجُلَ أَبَى في عِزَّةٍ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاه.



ثُمَّ فَكَّرَ الصَّدِيقَ قَلِيلاً وَقَالَ له:

لَقَدْ وَاتَتْنِي فِكْرَةٌ تَضْمَنُ لَكَ حَيَاةً كَرِيمَة، وَيَعُودُ بِهَا أَبْنَاؤُكَ إِلَيْكَ.

قَالَ الرَّجُلُ في لَهْفَة: مَا هِيَ؟ إِلَيَّ بِهَا!

أَتَى الصَّدِيقُ بِجَرَّةٍ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: لِنَمْلأْ هَذِهِ الْجَرَّةَ بِالتُّرَاب، ثُمَّ نَضَعُهَا في كُوَّةِ الْحَائِط، وَسَوْفَ أَمُرُّ عَلَيْكَ غَداً.

مَلأَ التَّاجِرُ الْجَرَّةَ بِالتُّرَابِ، وَغَطَّاهَا، ثُمَّ وَضَعَهَا في فَتْحَةٍ غَيْرِ نَافِذَةٍ بِالْحَائِطِ، كَانَ يَضَعُ بِهَا مِصْبَاحاً صَغِيراً، وَانْتَظَرَ صَدِيقَه.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي جَاءَ الصَّدِيقُ وَقَالَ لَه:

ـ سَوْفَ أَمُرُّ عَلَى أَبْنَائِكَ الْيَوْم، وَسَوْفَ أُخْبِرُهُمْ أَنَّكَ بِحَالٍ طَيِّبَة، وَأَنَّكَ تَمْلِكُ في هَذِهِ الْجَرَّةِ مَالاً هُوَ ضِعْفُ مَا قَدَّمْتَهُ لَهُم، وَأَنَّهُم قَدْ قَصَّرُوا في حَقِّك.. وَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ أَنْ تَتَظَاهَرَ بِأَنَّ مَا فِي الْجَرَّةِ مِنْ مَالٍ يَكْفِيكَ ذُلَّ السُّؤَال، وَأَنَّ الْمَالَ سَوْفَ يَكُونُ لَهُمْ إِن اعْتَنَوْا بِك.



وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دُقَّ الْبَاب، فَإِذَا بِهِ الابْنُ الأَكْبَرُ يُسَارِعُ بِالدُّخولِ، وَيَجْلِسُ إِلَى أَبِيهِ، يَسْأَلُهُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَعَنْ صِحَّتِه.

وَبَيْنَمَا كانَ الأَبُ مُنْهَمِكاً في بَعْضِ شُؤُونِهِ غَافَلَهُ الابْنُ، وَذَهَبَ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ الْجَرَّةَ، وَنَقَرَ عَلَيْهَا، فَأَحْدَثَتْ رَنِيناً سَعِدَ بِسَمَاعِهِ، وَكَأَنَّمَا تَأَكَّدَ مِنْ وُجُودِ الْمَالِ بِهَا، فَصَارَ الْوَلَدُ يَعْتَذِرُ لِوَالِدِهِ عَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَقْصِيرٍ، وَسَأَلَ الْوَلَدُ أَبَاهُ إِنْ كَانَ في حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ، فَقَالَ الرَّجُل:

ـ أَحْمَدُ الله، فَالْحَالُ مَيْسُورَةٌ وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدِي مَا يُغْنِينِي عَنِ النَّاس.

ذَهَبَ الابْن، وَفِي الصَّبَاحِ بَكَّرَ بِإِرْسَالِ زَوْجَتِهِ إِلَى أَبِيه، تَحْمِلُ إِلَيْهِ الطَّعَامَ وَتَكْنُسُ لَهُ الدَّارَ، وَتَسْهَرُ عَلَى رَاحَتِه. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي عَلِمَتِ الزَّوْجَتَانِ الأُخْرَيَانِ، فَتَسَابَقَتَا إِلَى بَيْتِ الأَبِ، تَقُومَانِ بِشُؤُونِ الْبَيْت. وَصَارَتِ الزَّوْجَاتُ الثَّلاَثُ يُسَارِعْنَ في خِدْمَتِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ أَشَدَّ الْعِنَايَةِ، وَلاَ سِيَّمَا زَوْجَةَ الابْنِ الأَصْغَر.

صَارَ الأَبُ في أَحْسَنِ حَالٍ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ نَظِيفَةً، وَبَيْتُهُ مَفْرُوشاً وَنَظِيفاً، وَالطَّعَامُ وَفِيراً، وَالْخَيْرُ كَثِيراً، وعَادَ لَهُ عِزُّهُ وَهَنَاؤُه. وَأَصْبَحَ الأَبُ هَانِئاً بِرِعَايَةِ أَوْلاَدِهِ لَهُ، حَتَّى نَسِيَ مَا كَانَ مِنْهُم.



وَفِي يَوْمٍ جَاءَ صَدِيقُ الأَبِ فَرَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْهَنَاءِ وَرَاحَةِ الْبَالِ، وَرَأَى أَوْلاَدَهُ مِنْ حَوْلِهِ وَأَحْفَادَهُ يُؤْنِسُونَهُ، فَسَلَّمَ الصَّدِيقُ عَلَى الأَبْنَاءِ وَزَوْجَاتِهِم، وَسَعِدَ بِهَذَا اللِّقَاءِ الْجَامِعِ لِكُلِّ الأَبْنَاء.

جَاءَ الصَّدِيقُ بِالْجَرَّةِ وَسْطَ الدَّارِ، وَلَمَعَتْ عُيُونُ الْحَاضِرِينَ وَظَهَرَ فِيهَا بَرِيقُ الطَّمَعِ، وَهُنَا قَامَ الصَّدِيقُ بِتَذْكِيرِ الأَبْنَاءِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي حَدَّثَهُمْ فِيهِ وَبَصَّرَهُمْ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّ وَالِدِهِم، يَوْمَ أَخْبَرَهُم بِأَمْرِ الْجَرَّةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَال، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمَا كَانَتْ عَوْدَتُهُمْ لأَبِيهِم، وَلأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِم وَعُقُوقِهِم.



سَكَتَ الأَبْنَاءُ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَرُدُّونَ بِه، وخصوصاً أَمَامَ أَوْلاَدِهِم، وَسَأَلَ الرَّجُل:

- مَاذَا يَكُونُ فِعْلُكُم لَوْ كَانَ بِالْجَرَّةِ تُرَابٌ مَثَلاً؟

قَالَ الابْنُ الأَكْبَر:

- كُلَّ خَيْرٍ فَنَحْنُ لاَ نَطْمَعُ فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَحْنُ فِيه.

وَقَالَ الأَوْسَط:

- سَوْفَ نَظَلُّ عَلَى عِنَايَتِنا بِأَبِينَا بِكُلِّ تَأْكِيد، وَخُصُوصاً بَعْدَمَا أَدْرَكْنَا مَا وَقَعْنَا فِيهِ مِنَ الْخَطَأِ فِي حَقِّه.



وَهُنَا كَسَرَ الرَّجُلُ الجُرَّةَ، فَانْبَعَثَ مِنْهَا غُبَارٌ غَطَّى الْوُجُوه، وَانْدَهَشَ الأَبْنَاءُ، وَقَالَ الصَّدِيق: إِنَّهُ قَدْ نَصَحَ الأَبَ بِتِلْكَ الْحِيلَةِ، لَمَّا أَنْكَرُوا أَبَاهُم وَأَهْمَلُوه..

وَشَعَرَ الأَبْنَاءُ بِالْحَرَجِ الشَّدِيدِ وَالنَّدَم، وَاسْتَبَقَ الأَحْفَادُ إِلَى جَدِّهِمْ يُقَبِّلُونَ يَدَهُ، وَتَبِعَهُمُ الأَوْلَادُ الثَّلَاثَةُ يَعْتَذِرُونَ لِأَبِيهِم عَمَّا بَدَر مِنْهُم، وَقَبِلَ الأَبُ اعْتِذَارَهُم، وَعَفَا عَنْهُمْ وَسَامَحَهُمْ حِينَ عَلِمَ بِنَدَمِهِم عَمَّا بَدَرَ مِنْهُم نَحْوَه، وَدَعا لَهُم بِالخَيْرِ وَالصَّلَاح.

